

# لقاء مع شاعر الفقراء :

## احمد عبد المعطي حجازي

اجرى المقابلة  
محمد بركات

كان لها سبعة اخوة مات معظمهم في اقل من ثلاث سنوات . ومات بعض ابنائهم في هذه الفترة ايضا . كنت طفلا في الرابعة وما زال شكلها محفورا في داخلي حتى الان . لم اكن اراها الا خارجة بلا حذاء او جراب وهي تلبس ملابسها السوداء . فتذهب ثم تعود . لقد تكرر هذا المشهد الاليم مرات متعددة خلال هذه الفترة المبكرة . ثم اذكر دائما هذا المشهد : مشهد الضحى الى ما بعد الظهيرة حين يكون الريف ساكنا جدا وتخلو القرية الا من البهائم والنساء والاطفال . وتخرج السحالى من الشقوق بعيونها الكبيرة اللامعة . الشمس حارة تنعكس اشعتها القوية على اواني المياه . ثم اصوات الدواجن وهمهمات الحشرات . في هذا الجو الساكن الصوفي الجياش ذي الطابع المأسوي تبدأ كل امرأة وهي تؤدي اعمالها المنزلية في بكاء الموتى . آباء او ابناء او اخوة . كانت اُمي شابة في ذلك الحين ( ٢٣ سنة ) وكنت انا في هذه السن التي تنفتح فيها كل حواسي على العالم . كنت بالطبع طفلا غير عادي يتمتع بذكاء ومعرفة وفصول . لم اكن اجسد نفسي الا مستمعا بالرغم مني لهذه البكائيات الاليمة كأنها الجراح الفاغرة . كانت الكلمات الجياشة وكان صوت اُمي يتسلل الى دمي ، وكنت استطيع ان احتمل هذا المشهد ساعة او بعضها ثم لا استطيع بعد ذلك الا الفرار . لكن ، الى اين ؟ كنت اهرب الى الحقول او السوق او اتبع بعض الساتلين الذين يجمعون الصدقات عن طريق الفناء . اذكر مغنية سائلة كانت تطوف في وقت بعينه في امسيات رمضان قبل الافطار . وكانت امرأة كبيرة في السن ، تمشي معها طفلة جميلة جدا لعلها حفيدتها . كان صوتها مليئا بالعداب والشجن والجمال . كنت اتبعها ولا اكف عن متابعتها الا خوفا من ان اضل . كنت اتحول الى كائن مسحور وراء صوت وكلمات هذه المغنية العمياء .

● قلت : الان يمكن ان نتلمس طريقا الى هذه الفئانية الجميلة في اشعارك ، والى هذا الشجن المأسوي في عالمك الفني .. قد نجد مصادر هذا كله في بكائيات هذه الام الصغيرة الحزينة ، فماذا عن الاب ؟ .

قال : اخذت عن ابي بنفس القدر . كان نموذجيا فيه مشابه كثيرة من نماذج الرجل الشرقي الذي اصبح الان نموذجا روائيا كالسني نشاهده في روايات نجيب محفوظ . انه الرجل المتذوق للحياة والنساء والغن والثقافة . وهذا في حدود الريف المصري طبعا . كان متابعا للثقافة السياسية كما يقرأها في الصحف والمجلات . وكان قارئا

● كان الهدف من هذه المقابلة الطويلة مع الشاعر احمد عبدالمعطي حجازي هو الاجابة على سؤال بسيط : اي انسان وفنان هو ؟ نحن جميعا نعرف الشاعر . قرأنا له واحبيناه واتفق بعضنا معه واختلف آخرون . ما هوذا الفنان يخرج علينا كل فترة بقصيدة جديدة او بديوان ، وما هي ذي عشرات الدراسات حول عالمه الشعري والدور الذي قام به في ثورة التجديد التي شهدتها الشعر العربي الحديث . ولكن ، من الانسان ؟ ما هي عوامل التكوين التي ساهمت في صنع هذا الشاعر ؟ ما هي روافده الاولى ؟ الى اين تمتد جذوره الفنية والفكرية ؟ ومرة اخرى : اي انسان وفنان هو ؟

كان الشاعر احمد عبدالمعطي حجازي يستعد للسفر الى باريس . انه يريد ان يرى ارضا جديدة ويقابل اناسا آخرين . انه يبحث عن معرفة متجددة ، وما هو ذا يشد الرجال الى الضفة الاخرى من البحر . انه سيفيق شهورا طويلة او سنوات لا يعلم عدتها الا الله ، ومن ثم كان لابد من هذا اللقاء قبل السفر . لقاء مع الشاعر العربي احمد عبد المعطي حجازي : شاعر الفقراء ..

● قلت : نحن نعرف الشاعر . ولكن ، من انت ؟ . من اين بدأ فنك .. ما منابعه .. وكيف تم هذا عبر مرحلة التكوين الاولى ؟

قال : أنت تريد ان نبدأ من بعيد . لا بأس . سنبدأ من قرية مصرية اسمها « تلا » بمحافظة المنوفية . حين تكون في هذه المحافظة فانت تشعر بمصر حقيقة . مصر بكل جمالها وامساتها ! خصوبة الارض وجمال عطائها وتاريخها ورائحتها الخاصة . هذا الى فقر اهلهما وتحضرهم . انها سره الدلتا . ومنطقة « تلا » وسط الدلتا الى الجنوب هي اخصب منطقة في دلتا النيل التي هي اخصب منطقة في مصر ، ومصر كما يقال هي من اخصب بلاد الارض . فانا جئت من اخصب منطقة في العالم . هذا اخصب لم يكن نعمة ولكنه كان كارثة لانه زحم الارض بالسكان الى درجة هائلة . وهكذا ضاع الفن ، غنى الارض وغنى الناس . ولان المنطقة من اخصب اراضي مصر فهي من اقدمها عمراننا وتحضرنا ، لذلك تعتبر من اغنى مناطق مصر بالفنون الشعبية ، فلها رقصاتها واغانيتها وملابسها ولهجاتها .

● قلت : انه التراث الحضاري للبيئة الزراعية اذن .. هذا اول الروافد .. اليس كذلك ؟

قال : نعم . لذلك كان من اهم الاشياء التي اثرت في وجداني وانا طفل صغير « البكائيات » التي كنت اسمعها من اُمي في رثاء اخوتها .

الاولى التي وجدت طريقها الى النشر . جعلت لها عنوانا هو « بغاء الابد » ولكنني نسيت القصيدة ولا اذكر الا ابياتها الاولى . . قلت فيها :

عندما ابد عني الفؤور السحيق

من فنون الليل والصمت العميق

طوحت بي كفه فوق طريق

صانع النجمة مجهول الرقيق

لست ادري وانا صمت ولسيل

كيف اشدو ، كيف اعطيه الشروق ؟

● قلت : هل يمكن القول بانك تأثرت في هذه المرحلة الباكرا

باحد من شعراء الجيل السابق ؟

فال : بالتأكيد . كانت هناك تاثرات عديدة . وفي هذه الابيات السابقة - مثلا - يبدو تأثير محمود حسن اسماعيل واضحا . كان شاعرنا وشاعر الشباب وقد فتن به ناشئة الشعراء في الاربعينات . ومن الذين تأثروا به جدا في الجيل الذي انتمى اليه نازك الملائكة وبنر شاكر السياب .

● قلت : لقد بدأت تكتب الشعر اذن مع بداية ثورة ٢٤ يوليو

في مصر . ها هو ذا الشاعر يضع قدمه على بداية الطريق ، فهل كانت لك تجربة مميزة او ملامح تجرية على الاول عبرت او حاولت ان تعبر عنها في اشعار هذه المرحلة ؟

فال : في هذه السنوات الاولى وحتى عام ١٩٥٦ كانت اشعاري

كلها تدور حول تجربتي الخاصة . افتتاني الشديد بالريف . علاقتي الحميمة باسرتي . تركت القرية ورحلت الى المدينة . وتملكني هذا الاحساس الهائل بالقرية في العاصمة الكبيرة . نزحت الى القاهرة بكل احساس الفلاح المصري تجاه المدينة . ان الريف المصري يعتقد دائما ان المدن الكبيرة اشبه بمدن الكفار . وهذا الاعتقاد يمكن بالطبع تفسيره تفسيرات متعددة ولكن اساسه الحقيقي اساس اقتصادي مصدره ان الريف محروم والمدن مترفة . لذلك يعتقد الريفيون ان افصح لغة هي لغتهم وان لغة المدينة لغة مخنثة . واهل المدينة ليسوا اقل سؤا من لغتهم . ان المدينة هي المكان الذي يشرب فيه الناس الخمر على قارعة الطريق ، والذي تستطيع ان تكسبون فيه المرأة بفا . والمدينة هي موطن الفساد بشكل عام . وهي الشر ، وهي القسوة والانسانية حيث يضع فيها الاحترام وانباء الاصول من النبلاء ، وبالتالي فان الريف - في المقابل - هو الطهارة والبراءة والطيبة والحب والانسانية ، حيث لا يخجل الرجل العابر ان يدخل دارا فيطلب طعاما او شرابا او مناما فيجد كل هذا وهو معزز مكرم محتفظ بماء وجهه .

تستطيع عندئذ ان تتصور تجربة شاب ريفي يبطن كل هذا

التراث ويأتي الى المدينة باحثا عن عمل ، وهو لا يجد فؤوت يومه . وانما هو يقضي ايامه في البحث عن العمل متنقلا بين مساكن ابناء فريته الذين ما زالوا يطلبون العلم في المدينة . انه يخرج كل صباح بحثا عن هذا العمل اللعين الذي يعرف سلفا انه لن يجده . ثم عليه ان يبحث عن دواوين شعر اخرى . كانت مشكلة عسيرة فماذا يحسن شاب درس التربية وهو يقرض الشعر الا ان يكون مدرسا او شاعرا . وكان الشعر هو امضى اسلحته . لقد كانت التجربة التي عبرت عنها في ذلك الحين هي تجربة الجميع تقريبا ، وهي تجربة قديمة . انها هجرة الريفيين الى العاصمة . وكانت هذه التجربة تنظر من عبر عنها . . لذلك كانت قصائدي الاولى رغم بساطتها بل وسذاجتها ايضا من اهم ما كتبت . كانت عملا اشبه بالسحر في ذلك الوقت . لقد قدمتي كشاعر متميز للناس . اني ما زلت اذكر انهارا لناقد المرحوم انور المعداوي والاساتذة عبدالقادر القظ ، ومحمود امين العالم ، واحمد بهاء الدين ، ورجاء النقاش بهذه القصائد الاولى .

لقد قدمتي هذه القصائد الى هؤلاء ، وبواسطتهم دخلت بساب

للشعر محبا للموسيقى ويملك مكتبة تضم تراث سيد درويش وسلامة حجازي ومنيرة المهديا وعبدالوهاب القديم وام كلثوم القديمة . كان اهم ما في هذا الرجل انه كان كنزا بشريا . كان يعرف كثيرا ويستمتع كثيرا ويتألم كثيرا ، ولكنه لفرض ما عرف واستمتع وتالم لاذ بالصمت . انجبنا وهو كبير فلنا الطفل الثاني له والولد الاول . كان عمره عندما انجبني خمسين سنة وتوفي في السبعين . كان بيتي وبينه عمر طويل جدا .

لم تكن بيننا علاقة تفصيلية ، لكنها رغم هذا كانت علاقة حميمة جدا . هي علاقة الاب الذي يتجيب بشغف وشوق الى الابناء ، لان امي - وكانت زوجته الرابعة - كانت هي اول من انجبت له ، حيث لم تنجب له احدى زوجاته الثلاث الاول .

ان عدم وجود ابناء كثيرين لوالدي افقده الاحساس التام بالانتماء . لم يكن - ولم تكن معه - ترتبط بالارض باسباب فويسه فحنن لا نملكها ولا نزرعها . . ولعل هذا ما يفسر تلك الرغبة الدائمة عند اسرتنا في الخروج من القرية .

● قلت : هل نتسح بالدائرة قليلا ، لنخرج من الاسرة الان الى القرية نفسها . ماذا عن البيئة وطبيعة العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تحكمها والتي لا بد ان يتفتح عليها وجدان شاب صغير على وشك ان يصبح شاعرا ؟

قال : كانت تعاني البلدة الصغيرة من هذا الانفصال الذي حدث في مصر بين الثقافة التقليدية والجديدة . لقد حدث هذا الانفصال في قرية « نلا » قبل ان يحدث في كثير من القرى الاخرى في ريف مصر . كان هناك عدد كبير من التلميين في الازهر الشريف . ومع بداية الثلاثينات بدأ يظهر جيل جديد من الذين تخرجوا في الجامعة . وحدث ما كان لا بد ان يحدث بين ثقافتين متعارضتين تماما . احدث هؤلاء الشبان ثورة حقيقية فقد اصبحوا يعوون من القاهرة في الاجازات بالبدل والطرايش ويجلسون في حديقة البلدية ويتناولون كثيرا من المسائل التي يعتبرها التقليديون من المقدسات - وكان بعضها كذلك فعلا - تناولا فيه الكثير من الخفة وبارائهم الجديدة التي تعلموها في الجامعة . في نفس الوقت تبلور الصراع الاجتماعي بحدة في هذه الفترة التاريخية بين هؤلاء الشبان الذين ينتمون الى عائلات متوسطة ودون المتوسطة وبين ابناء الاعيان الذين لم يؤمنوا ابدا بفائسدة التعليم الجامعي للفقراء . ان ارسنقراطية الريف كانت تعتقد ان التعليم مسألة ثانوية ومع هذا فان منهم من تعلم في انجلترا وفرنسا في اواخر القرن الماضي واولئل هذا القرن .

في هذه البيئة التي فيها اصلا ثقافة اصيلة ، وفيها هذا الصراع العنيف بين ثقافتين متعارضتين وما ادى اليه هذا من نشوء طبقة جديدة ليست هي طبقة كبار الملاك ولا هي طبقة الفلاحيين المعدمين وانما طبقة الافندية والموظفين الذين تعلموا في المدارس والجامعات ، ثم ما ادى اليه هذا كله من تبلور الصراع الطبقي العنيف بين هذه الطبقات . في هذه البيئة بدأت افهم واعي ابعاد المسألة الاجتماعية في مصر ، ذلك ان ما كان يحدث في هذه القرية فسي الاربعينيات واولئل الخمسينات كان تركيزا وتلخيصا للتحويلات الخطيرة التي شهدتها مصر كلها بعد ذلك .

وقد كان لا بد لكل هذه الظروف الخاصة والعامه ايضا ان تشد صبيبا ذكيا الى فن الشعر .

● قلت : كان ذلك مع بداية الخمسينات بالضرورة ؟

قال : نعم . كنت في الثامنة عشرة ، وكان ذلك عام ١٩٥٢ فلانا من مواليد عام ١٩٢٥ . . كتبت اول قصيدة بعد الثورة بشهور ولكن لم انشرها الا في عام ١٩٥٤

● قلت : انت تذكرها بالطبع ، فهي القصيدة الاولى ؟

فال : لقد كتبت قبلها كثيرا من الشعر ، ولكنها كانت القصيدة

الصحافة في مؤسسة روز اليوسف وكان ذلك عام ١٩٥٦ .

● قلت : هكذا أصبحت كاتباً وشاعراً محترماً مع بداية عام ١٩٥٦ ؟

كل هذه الموضوعات - السياسة والحب والطبيعة وغيرها - هي مجرد موضوعات مهمتها فقط أن ترشد الشاعر إلى القصيدة أو تأخذ بيده إلى عالم الفكرة ، وليس المهم في النهاية هو الموضوع ، وإنما المهم هو الفكرة التي يستخلصها الشاعر من هذا الموضوع . أو بالأحرى من القصيدة ، أو على الأصح تستخلصها القصيدة بذاتها من ذاتها .

وأعترف أنني في بعض الأحيان قد كتبت ما أشك في سلامته . ولكن أشهد أنني لم أفعل هذا لأغراض معيبة أو لا أخلاقية . بالعكس ، لقد كانت السلامة الأخلاقية هي المصدر الأول الذي جعلني أكتب هذه القصائد . كنت اعتقد أنني مطالب بتغليب موقف على موقف أو رأي على رأي . وكنت أتشبث بالرأي أو بالطرف الذي كنت ادعي أنه يحفظ على الناس تفاؤلهم ويحفزهم إلى مزيد من النضال ، ويجنبهم اليأس ، ويبعدهم عن هاوية السموط . لكن أخطأت . ففي الشعر لا يوجد إلا الصواب المطلق ، ولا يوجد إلا الإيمان الذي لا شك فيه . لا أفصد أن كل ما يعنف الشاعر أنه صواب هو صواب مطلق ، ولكنني أفصد أن الشعر لا يأتي إلا من اعتقاد الشاعر بأنه في جانب الصواب المطلق . وإذا كنت قد بدأت بهذا الاعتراف فإن من حقي على نفسي أن أقول أيضاً أنني من أوائل الذين حولوا معتقداتهم السياسية إلى شعر صحيح ، بحيث لا يستطيع الناقد أمام هذا الشعر أن يقول أنه شعر مناسبات ، وإنما كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يعترف أولاً بأنه أمام شاعر معتقد ويمكنه بعد ذلك أن يقول في هذا الشعر ما يشاء .

● قلت : هل يعني هذا أنك وجدت طريقاً ، حين تقول أنه لا بد للناقد أن يعترف أولاً بأنه أمام شاعر معتقد . ثم ما هو هذا الاعتقاد الذي يقوم عليه شعرك اليوم وغدا ؟

قال : لقد حاولت جاهداً أن اسلك طريقاً آخر غير الطريقتين اليهوديين في علاقة الشعراء العرب بالسياسة . طريق شعراء المناسبات التقليديين . وطريق الشعراء الآخرين الذين يزعمون أن الشعر لا يكون شعراً إلا إذا كان في موضوع سياسي .

لم تكن السياسة بالنسبة لي حرفة أبداً . كانت هما وعقيدة . وأنا ما زلت وسوف أظل وفي كل ما أكتب أيا كان الموضوع السذي استلهمه مؤمناً أشد الإيمان بوحدة الشعب العربي ، وبلسان المستقبل للاشتركية ، وبأن أعظم عدو للبشر هو الطغيان . واعتقد الآن أن من واجبي أن أتعلم من تجربتي . لقد أقيمت بأهالي الكبيرة على اعتناق العابرين . ومن واجبي الآن أن أبحث لهذه الآمال عن اعتناق أفضل .

● قلت : في كل ما كتبت - وفي هذا الحديث أيضاً - يلاحظ القاريء أن « الفكرة العربية » تسيطر عليك سيطرة كاملة . كيف تفهم هذه الفكرة . وكيف تريد أن تعبر عنها ؟

قال : أنني أفهم الفكرة العربية ليس فهماً فورياً فقط ولكنني أفهمها فهماً حضارياً . أن من أكبر ضموحاتي أن أدرك جوهر الحضارة العربية ، وأن أستطيع أن أكتب ولو مقالاً أساسياً واحداً عن الجوهر المشترك بين الشعر العربي ، والتزخرفة العربية ، والموسيقى العربية . ليس فقط من الوجهة الجمالية وإنما التاريخية أساساً . أفصد محاولة تتبع الجوهر الجمالي لهذه الحضارة في التاريخ انتهاء بمحاولة فهم هذا الإنسان العربي وكيف يعبر عن ذاته . لذلك اعتبر كل تعبير أصيل في الفن العربي نافذة لفهم هذا الإنسان . وكنت أرى يجب أن افتحه وأن أتأمل جواهره ولآلئه وحتى توابه .

أن هذا ليس تعصباً شوفينياً ولكن تجربة الإنسان العربي في الحقيقة هي تجربة إنسانية نائية بكل مقياس ، ولا شك أن محاولة تفسيرها والنفاذ إلى جوهرها هو عمل خليق بكل إنسان متحضر .

قال : كان العمل الصحفي هو الوظيفة . أما الشعر فهو هي الأول والأخير . عملت مراجعاً وأخذت أكتب بعض المقالات في النقد الأدبي وأخذت أحرر باباً بعنوان « عصر الكتب » في أواخر الخمسينات ثم انحصرت عملي في النقد الأدبي وفي معالجة المشاكل والقضايا الثقافية والأدبية وبعض المشاكل الأخرى ولكن من زاوية فكرية .

● قلت : لقد بدأت تكتب الشعر مع بداية ثورة ٢٣ يوليو كما تقول . كيف كان إحساسك بهذه الثورة . ما موقفك منها وما رأيك في الأفكار التي طرحتها على المستوى القومي والعربي . وهل يمكن أن يربط بين هذا كله وبين تجربتك الشعرية ككل ؟

قال : لقد تأكد انتمائي لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ منذ اليوم الأول . وهي الوقت الذي تأكد فيه هذا الانتماء فتحت علاقتي على الفكرة العربية . وكان ذلك من خلال علاقات إنسانية عادية بسيطة ، وبالتحديد من خلال علاقتي بالطلاب العرب في القاهرة والذين كانوا في ذلك الوقت مشغولين بالتعرف على الحياة الثقافية في مصر ، وخاصة بشباب الحركة الثقافية ، ومن خلال أمجاد الثورة الجزائرية التي كانت في ذلك الحين أقرب إلى الشعر منها إلى الحرب العادية أو النضال السياسي التقليدي . ومن خلال السهرات والمواويل العرافية والديبكات الشامية وغيون البنات الجميلات في الجامعة . ومن خلال الندوات الثلاثية والمظاهرات ضد حلف بغداد . من خلال هذا كله توثقت علاقتي بالفكرة العربية ، وأمنت إيماناً قريباً من إيماني باني ابن أبي أن العرب أمة واحدة . ووجدت أن الدفاع عن هذه الفكرة خاصة في مصر حيث كان جانب كبير من المثقفين يميلون فأبداً أو كثيراً عنها وبعضهم كان معادياً لها - سوف يشكل أساساً هاماً من أسس حياتي .

وكانت الوحدة المصرية السورية هي الذروة التي وصل إليها إيماني بثورة يوليو والفكرة العربية مما .

ثم بعد ذلك بدأت الانكسارات التي كان عبدالناصر يوفها أحياناً لتحقيق بعض الانتصارات كما فعل مثلاً عندما شارك في ثورة اليمن وعندما أتم الثروة القومية .

لكن اعتقد الآن أن وقوع الانفصال وغياب الديمقراطية كان لهما أثر كبير فيما عانيت منه من تمزق شديد أدى إلى زلزلة كيانني وإيماني ومسلماتي جميعاً . ثم كانت هزيمة يونيو ووفاة عبد الناصر .

لقد خرجت من هذه التجربة بمزيد من الإيمان بعظمة الشعب العربي ، وبأن أعظم الرجال لا يستطيع أن يصنع شيئاً إذا وضع الشعب خارج الحياة والفعل . وبدأت لي تجربة جديدة من هذه القناعة .

● قلت : أن حديثك هذا عن ثورة ٢٣ يوليو قد يلزمنا بأن نطرح سؤالاً عن السياسة في الشعر بشكل عام ، وعن السياسة في شعرك على نحو خاص ؟

قال : السياسة عندما نسلل إلى صميم الحياة الوجدانية للشاعر تصبح شعراً . والشاعر يسقط عندما يشك للحظة واحدة في مسلمته السياسية . ويسقط الشاعر أيضاً عندما يتخذ من عقيدته السياسية سلماً للشهرة أو للامن أو للمكانة الاجتماعية . لكن ما دامت القصيدة السياسية هما من هموم الإنسان كالحب والمصير ، وما دامت موقفاً يستاهل التضحية ، وما دامت جزءاً من عالم الشاعر لا يفصل عن موضوعاته الأخرى ، فهي ليست ضد الشعر . أن

ودعك من هذا الجانب الثقافي . خذ الجانب الذاتي المحض .  
اني اجد في كثير من الاغاني التونسية والمقرية بشكل عام اصداء  
للاغاني التي كانت ترددها جديني وخاصة اغاني الحج . وانا اجد في  
كثير من الاغاني الشامية مشابه بينها وبين الاغاني المصرية فسي  
الاحسان والكلمات ايضا .

ثم دعك من هذا كله وخذ تجربتي الشعرية ذاتها . انني احاول  
ان اجد شيئا مشتركا ليس بين بلاغتي وبلاغة الشعراء القدامى  
وحسب وانما بين بلاغتي وهذه البلاغة المشتركة في الفن الشعبي  
وفي الفن الفصيح ان صح هذا القول .

ثم دعك في النهاية من كل ما ذكرت . انني احب هذا الفن  
العربي . هذا هو قلبي .

● قلت : لعل هذا الحديث الطويل يوضح لنا الكثير من  
الجوانب التي يقوم عليها مضمون تجربتك الشعرية ..

ولكن ماذا عن الشكل . انك احد الشعراء الذين ارتبطت  
اسمهم بهذا البيان الشعري الجديد في الادب العربي ، فهل تحدثنا  
عن هذه الاضافات الشكلية في شعرك ، وكيف ترتبط هذه الاضافات  
بفهمك للتجربة الانسانية بشكل عام ، وبتجربتك الفنية على نحو  
خاص ؟

قال : بالنسبة لي ، فالانسانية ليست على طرف نقيض اطلاقا مع  
الاضافات الشكلية . ان كل اضافة جمالية حقيقية لا يمكن الا ان  
تستند الى تجربة انسانية عميقة .. لا يمكن ان تقدم اي اضافات  
جمالية حقيقية عن طريق الترجمة او النسخ او التقليد او المغامرة  
الخالية من الحس الانساني . افصد الخالية من محاوله معرفة  
هذا الكائن : تجربته مع الريح والخسارة والبيلاذ والموت والفرح  
والالم والحب والكراهية والنجاح والسقوط . وبما ان المعرفة  
الانسانية هي في الاساس معرفة تاريخية فلا يمكن للفنان الا ان  
يرتبط بالتاريخ . ان ارتباط الفنان بالتاريخ هو الذي يدفعه الى  
البحث عن مكان له في المستقبل ، وهو الذي يدفعه الى البحث  
عن مكان التراث في نفسه . ولذلك فالفصائد التي تشكل في شعري  
قفزات شكلية هي ذاتها التي تشكل في شعري قفزات في الفهم  
والمعرفة والتجربة . وانما ادعي ان هذا ليس في شعري فقط وانا  
هو عند كل شاعر له تجربة هامة .

وانا لست في هذا مع الذين يبالفون في فدر الانسان مبالغة  
عاطفية تمنح الاشياء وجودها مجرد وجودها في عالم الانسان .  
لست مع هؤلاء الرومانسيين الذين يحولون العالم الى شيء ذاتي  
محض . ان تأملي للوجود الانساني والمصير الانساني هو الذي يجعلني  
أؤمن ايمانا مأساويا باستقلال العالم عن الانسان وبانه موجود برفم  
الانسان .

وهذا الإدراك هو الذي يجعلني اقيم هذا الجدل .. الجسد  
الموجود بالفعل بين العالم والانسان . بين المستقر والمتحرك . في  
المقابل فاننا ضد احتقار التجربة الانسانية . وحتى على المستوى  
الشخصي ان كل تجربة فردية حين نتأملها تفصح لنا عن مفرداتها  
وعمقها واهميتها بل وافول وشمولها .

ومن هنا كان الانسان هو بطل اشعاري . الانسان الذي اتأمله  
عسلا جبارا وجسدا جبارا .. لكنه الجبروت الذي قد يستطيع  
الصمود امام القهر والجهل وامام الحرمان لكنه لا يستطيع الصمود  
امام الموت . ان الموت في الحقيقة هو حجر الزاوية في كثير من  
اشعاري وخاصة الاخيرة . وانا اعترف ان هسذا الموت ليس عنصر  
تشاؤم في اشعاري وليس عنصر تهوين او يأس ، وانما هو دافع الى

تأكيد البطولة الانسانية . من هنا اعتبر ان كل مجد هو غير  
صحيح الا ان يكون مجد الانسان ، وايضا ارى ان اي مغامرة  
شكلية في الشعر ما لم تتبع من هذا الإدراك ، فهي مغامرة  
شاردة ضليلة .

انني في الاساس واحد من الذين ساهموا في اقامة هذا البيان  
الشعري الجديد ، وانا في كل لحظة مع كل اضافة شكلية ، لكن  
استغرب التركيز في هذه الاونة على الاضافات الشكلية فحسب . ان  
كثيرا من الاشعار العظيمة التي نجحها الان ونردها وتتمنى لو اننا  
كتبتناها قبلت منذ الاف السنين وهي لا تستند الا لمهارات شكلية  
محدودة لا تقاس بجانب المهارات التي يعرفها اصغر شاعر الان .  
لكن كثيرا من اصحاب هذه المهارات الشكلية المعاصرين يكتسبهم  
التاريخ وتبقى هذه الاشعار البسيطة الساذجة القديمة .

آنذاك لم تكن هناك صحف ولم يكن هناك مجد الشهرة المتبدل  
الموجود الان والذي يتهافت عليه الكثيرون من الشعراء . وآنذاك كان  
هناك الشاعر والليل ، والشاعر والصحراء ، والشاعر والموت ،  
والشاعر ونفسه . كان الشعر سرا ولم يكن بدلة جديدة او لافتة  
او اعلنا .

اسمع هذه الابيات البسيطة للشاعر جديمة الابريشي الواضح  
الذي عاش في اواسط القرن الخامس قبل الهجرة :

ربما اوفيت من علم	ترفصنن نوبي شمالات
من فتو انا كالتهم	في بلايا غزوة باتوا
ثم ابنا فانين معا	واناس يمدنا ماتوا
نحن كنا في مرهم	اذ مر القوم خوات
ليت شعري ما اماتهم	نحن ادلجنا وهم باتوا

بعد الاف السنين حين يسأل الانسان نفسه : ليت شعري ما  
اماتهم ؟.. هذا هو الشعر .

● قلت : قالوا انك شاعر الفقراء .. فمن هم الفقراء وهل آتت  
شاعرهم حقا ؟

قال : نعم انا شاعر الفقراء ولكن بالمعنى الذي افهمه انا . انني  
اعتبر ان افضل البشر هم الفقراء . انهم الذين يحاربون في فيننام  
وهم الذين حاربوا في سيناء . انهم الذين يعيشون في روسيا  
وكوبا .. وهم الذين يكتبون الشعر في كل انحاء العالم . وهم  
الذين يقرأون الشعر ايضا . ان الفقراء هم البشر . ولهذا فليس اعظم  
في العالم من فقير تأمل اسباب فقره .. ولهذا الفقير بالذات اكتب  
شعري .

★ ★

كانت جلستنا قد امتدت ساعات طويلة منذ اول الليل . والحديث  
مع شاعرنا الكبير يمكن ان يستمر بلا نهاية .. ولكن الرحلة التي  
قطعناها معا كانت قد بلغت ذروتها عند هذا الحد ، كما كان نور  
الصباح قد بدأ يتسلل من خصاص الشباك . لقد امضيت الليل بطوته  
ابحث مع احمد عبدالمطي حجازي عن اجابة هذا السؤال الصغير : اي  
انسان وفنان هو ؟ ويقدر ما احسست انني حصلت على اجابة السؤال ،  
احسست انني لم اظفر بعد بالاجابة كاملة . كان الشاعر قلقا بهم  
بالسفر الى اوربا . انه يستعد للذهاب الى باريس . وكان علي ان  
استقصي دوافع الشاعر الى هذه الرحلة ومعناها ، ولكن لم اساله .  
فقط كنت اسأل نفسي وانا اودعه : هل سيذهب الى اوربا حقا بحثا  
عن معرفة جديدة ، ام سيذهب بحثا عن لا نعرف من الفقراء وراء  
البحر .. ليكتب لهم بعض الشعر .

محمد بركات

القاهرة